



الهجرة القسرية في شمال وشرق سوريا



Introduction

مقدمة

تعد الهجرة بمفهومها العام ظاهرة طبيعية، وتكاد تكون شائعة عند معظم الكائنات الحية، فالهجرة الموسمية تُعرف بأنها انتقال الكائنات من منطقة لأخرى أو من مناخ إلى آخر حسب الدورة السنوية لتغيرات الطقس ودرجات الحرارة. ويشد الإنسان ككائن عن هذه القاعدة في معظم الأحيان بسبب قدرته على إعادة هندسة البيئة المحيطة به، ومرونة مجتمعاته في التكيف والتحول إلى شعب أو حتى أمة مستقرة في جغرافية ما؛ على الرغم من ذلك لا يستطيع الإنسان أن ينأى بنفسه عن هذه الظاهرة؛ خاصة عندما تُفرض عليه ظروف لا طاقة له على مُسايرتها أو التكيف فيها أو التأقلم معها.

لا تزال البشرية منذ قديم الزمان في حالة تحرك وتنقل، فقد حدثت هجرات بشرية كبرى منذ الألف العاشر قبل الميلاد، والدافع الرئيسي وراء ذلك تلبية الاحتياجات الفيزيولوجية، وبمعنى أدق نسبياً تأمين حماية الذات، تحرضه غرائزه على الاستمرار في الحياة؛ فمع التزايد المطرد لأعداد البشر بالتوازي مع تغيرات المناخ التي شهدتها العالم في نهاية العصر النيوليتي، بدأت المجموعات البشرية بالتمركز في الجغرافيات التي تؤمن لها متطلبات الحياة، على ضفاف الأنهار وشواطئ البحار، وسفوح الجبال والسهول الخصبة، وتأطرت عقيدة قتالها حول الدفاع عن جغرافيتها التي يراها مصدراً لطاقة استمرار حياته؛ ربما ساهم هذا الأمر أيضاً في نشوء الميثولوجيات ومن بعدها الأديان البدائية(*)، كنتيجة لتطور مفاهيم الإنسان حول دور المكان والزمان في نشوء الخلق، وإسباغ صفة القدسية على مناطق معينة وبناء المعابد فيها، والتي يبدو أنها مهدت لفكرة تقديس الوطن.

ولدى الإمعان في مختلف الأبحاث والدراسات الانثروبولوجية والأركيولوجية، يمكن ملاحظة التفاعل بين الجغرافيا وتفكير الإنسان في كيفية تأمين الحياة بشتى الوسائل المتاحة، ودور ذلك في نشوء الثقافة بمفهومها العام، التي ساهمت في صياغة مفهوم الوطن مع مرور الزمن، وبات الوطن ذو رمزية مقدسة في ثنائية الأرض والثقافة؛ هذه الثنائية أصبحت الهوية التي تميز الإنسان ومجتمعه عن الآخرين، وعاملاً لنشوء شعب ما.

يبدو أن الوطن أصبح عائقاً أمام الهجرة، فلم يعد بإمكان الآخرين الهجرة إليه بسهولة، وأصبحت الهجرة منه مؤشراً على وجود خطر يهدد أمن الإنسان في هذا الوطن؛ وفُسر طرد البشر من أوطانهم كانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان، وهذا ما نجده في معظم بلدان العالم في تاريخنا المعاصر الذي يعجّ بالأزمات السياسية والاقتصادية، وأصبحت مغادرة أماكن الإقامة الدائمة عمليات تهجير ممنهجة لأهداف سياسية أكثر من كونها ظاهرة طبيعية، وذلك بفعل هذه الأزمات التي ساهمت بوضع مصطلحات اللجوء والزوح والتهجير في صدارة التقارير والأبحاث ذات الصلة الحقوقية أو الإغاثية أو السياسية.

يعتبر كلاً من اللجوء والزوح والتهجير من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات المستقرة حول العالم، فهي نتيجة لمشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية، وليست حلاً لها، حتى أنها يمكن أن تتسبب بتفاقم هذه المشكلات أو التسبب بمشكلات أخرى مماثلة في المكان الذي يتم الانتقال إليه؛ وتعد عمليات اللجوء والزوح والتهجير التي تسببت بها القوى الفاعلة في الأزمة السورية منذ عقد من الزمن مثال بارز على هذه التحديات.¹

* يعتبر علماء الاجتماع أن أصل الديانات يرجع إلى تقديس الحيوان وعبادته (تيتو تيميزم)، أو تعظيم الأشجار. على أن علماء آخرين يذهبون إلى أن تأليه الحيوان أو الجملد إنما جاء على أنه رمز للإله المعنوي أو الإلهة أو القوى غير المنظورة السامية على الطبيعة. واعتبر فريزر في كتابه "الغصن الذهبي" أن التدين مقتبس من عصر السحر، وأن الدين هو التوفيق بين القوى التي تعلو على الإنسان، تلك القوى التي يعتقد الإنسان أنها توجه الطبيعة والحياة الإنسانية وتحكمها. وعند هيربرت سبنسر "في كتابه "مبادئ الاجتماع" أن أصل العبادة كلها الرجل الميت. وعند الدكتور جيفونز في كتابه "مقدمة لتاريخ الدين في 1896" أن الدين الأولي يرجع إلى "التيتو تيميزم" عبادة الحيوان. وعند "تايلور" في كتابه "الثقافة الأولية" أن الاعتقاد في الكائنات مسالة روحية. وعند الدكتور روبرتسون في كتابه «محاضرات عن ديانة الساميين» أن الطقوس الدينية مسالة أولية. أما العقائد والأساطير فمسالة ثانوية...
للمزيد: عبد الله حسين؛ تاريخ ما قبل التاريخ؛ الناشر: مؤسسة هندواي- المملكة المتحدة/ 2012م؛ بلا رقم طبعة؛ ص90.

تشكل ظاهرة الهجرة، طوعية كانت أم قسرية، تحدياً كبيراً أمام مجتمعات شمال وشرق سوريا وإدارتها الذاتية؛ على الرغم من ذلك لم تلق هذه الظاهرة الاستجابة اللازمة من قبل السياسيين والباحثين والمثقفين والنخب الاجتماعية، خاصة أنها لا تزال مستمرة وبوتيرة مقلقة، وتتجه إلى التسبب بأزمات اقتصادية واجتماعية، وإضعاف قدرات الدفاع الذاتي للمجتمعات المحلية، عدا عما تسببه الهجرة من مخاطر ومشاكل للمهاجرين أنفسهم، سواء في طريق الهجرة أو في بلد المهجر نفسه؛

ففي خضم الأزمة التي تشهدها سوريا لم يعد ممكناً وصف الهجرة من شمال وشرق سوريا بالظاهرة الطبيعية، بسبب العوامل الذاتية والموضوعية التي افتعلتها والتي أرغمت الآلاف على الهجرة؛ فمنذ أكثر من عقد باتت كل من الأيديولوجيات المتطرفة والنزعة البراغمية والتنافسية في العلاقات الدولية تفعل فعلها في تمزيق النسيج الوطني للمجتمعات القاطنة في الجغرافيا المسماة حالياً "سوريا" من خلال ممارسة الاستبداد ونشر خطاب الكراهية، القومية والدينية والطائفية، والتسبب بأزمة اقتصادية بالتزامن مع التغيرات السلبية للمناخ والتدهور البيئي التي تشهدها المنطقة.

لقد تسببت الأزمة السورية بتغيرات ديمغرافية كبيرة وخطيرة في الجغرافيا السورية، حيث اضطرت ملايين المواطنين إلى ترك ديارهم وممتلكاتهم، أما من خلال النزوح أو الهجرة إلى خارج البلاد، حيث قدرت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين⁽²⁾ عدد الذين اضطروا إلى النزوح عبر الحدود بسبب النزاعات المسلحة في سوريا بـ 5.5 مليون لاجئ في عام 2021م، بفعل عوامل القلق والخوف واليأس وعمليات التهجير، التي أوجدتها القوى السياسية والتنظيمات المتطرفة المؤثرة في هذه الأزمة؛ وسُخرت هذه العوامل كأدوات سياسة موجهة ومكرسة في سبيل تحقيق هيمنة سياسية وعسكرية وأيديولوجية على شمال وشرق سوريا، وذلك بالاستناد إلى العشرات من التقارير الحقوقية والاعتداءات العسكرية من قبل دول إقليمية، والنشاطات السرية لأصحاب الأيديولوجيات المتطرفة وما تقوم به من عمليات تخريبية من تنظيم داعش وأخواتها، بالإضافة إلى حالة الحصار الاقتصادي المفروض على المنطقة من خلال اعتراض كلاً من تركيا وروسيا⁽³⁾ وإيران والنظام السوري على فتح المعابر الدولية في المنطقة والضغط لمنع الاستثمارات في المنطقة، بالإضافة إلى ما تشهده من تهديد سياسي من قبل المجتمع الدولي بخصوص النقاشات السياسية المتعلقة بحل الأزمة السورية.

اضطر حوالي مليون مواطن من شمال وشرق سوريا إلى الهجرة عن مناطقهم بفعل عوامل القلق والخوف والترحيل القسري والانجذاب إلى إغراءات البلدان الغنية؛ وفي الواقع المُعاش لم تعد هذه العوامل بحاجة إلى البرهان على صحتها، بل تحولت إلى أمر يعيشه معظم السوريين، وأصبح الحال وكأنه تهجير ممنهج لإحداث تغييرات ديمغرافية كبيرة على أسس عرقية ودينية وطائفية، الفاعل الرئيسي فيها قوى محلية وإقليمية ودولية، تعمل على تمكين هيمنتها في مناطق معينة، لتأمين مصالح اقتصادية أو سياسية أو عسكرية.

تعدّ الأوضاع الأمنية والاقتصادية، التي يتحمل جزء كبير من مسؤوليتها كلاً من تنظيم داعش وتركيا والفصائل الموالية لها والنظام السوري، من العوامل الرئيسية في عمليات التهجير التي تجري في شمال وشرق سوريا منذ عقد من الزمن، بسبب تمكينهم لكل من عامل القلق والخوف وعامل الترحيل القسري، في تحقيق سياستهما المتعلقة بعمليات التهجير الممنهجة، بينما يأتي عامل الإغراء كفعل ثانوي في عملية التهجير وتقع مسؤولية تمكينها على كل من الدول الغنية وضعف أداء الإدارة الذاتية في معالجة العوامل الذاتية لمشكلة الهجرة والتهجير. هذا الأمر يفرض دراسة ومناقشة ظاهرة الهجرة والتهجير، وتحليل العوامل الكامنة وراءه، بهدف إيجاد الحلول الممكنة للحد منها.

² شبكة الصليب الأحمر والهلال الأحمر لنقاط الاتصال حول الهجرة في إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؛ التقرير الإقليمي الأول حول الهجرة في إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؛ الناشر: شبكة نقاط الاتصال حول الهجرة - إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا/2021م.

³ Human Rights Watch؛ سوريا: الفيتو الروسي سيغلق شريان الإغاثة الأخير؛ تاريخ النشر: 10 حزيران 2021م؛ الرابط:

<https://www.hrw.org/ar/news/2021/06/10/378875>

أولاً- ظاهرة الهجرة.

تعد الهجرة ظاهرة عالمية وتاريخية، ونالت اهتمام الكثير من الباحثين في مجالات علم الاجتماع والسياسة والاقتصاد، ولم تعد محصورة في إطار مفهومها اللغوي، بل استنبطت منها العشرات من المصطلحات التي تعبر عن قضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية؛ كالهجرة الطوعية والهجرة القسرية والهجرة الموسمية والهجرة الدائمة والهجرة المؤقتة وغيرها⁽⁴⁾، وعلى أساس هذه المفاهيم برزت مصطلحات النزوح واللجوء والترحيل القسري أو التهجير. وتصنف جميع هذه المصطلحات بالاستناد إلى دافعين وهما دافع الضرورة ودافع الاختيار، كما أن لها جانباً إيجابياً أحياناً وجانباً سلبياً أحياناً أخرى وخاصة في مسائل التنمية الاقتصادية.

➤ مفهوم الهجرة وتعريفها.

الهجرة كاسم بحسب قاموس المعاني الإلكتروني تعني "الخروج من أرضٍ إلى أخرى... انتقال الأفراد من مكانٍ إلى آخر سعياً وراء الرزق..." أما الهجرة كمصطلح يعني "انتقال أو تحوّل لفرد أو جماعة من دولة اعتادوا الإقامة فيها إلى دولة أخرى لا يحملون جنسيتها لغرض الإقامة فيها... ترك الوطن إلى بلد غيره للإقامة فيه... رحيل إلى بلد آخر والعيش فيه بصفة دائمة..."⁽⁵⁾

وتعرف الهجرة كمصطلح متداول بأنها "حركة البشر، سواء داخل بلد أو عبر الحدود الدولية. وتشمل جميع أنواع الحركات، بغض النظر عن الدوافع ومدتها وطبيعتها طوعية / غير طوعية. وتشمل المهاجرين لأسباب اقتصادية، والمهاجرين بسبب ضنك المعيشة، والنازحين داخلياً، واللاجئين، وملتمسي اللجوء والعائدين والبشر ممن ينتقلون لأغراض أخرى، بما في ذلك التعليم وجمع شمل الأسرة"⁽⁶⁾ وتُعرّف وكالة الهجرة التابعة للأمم المتحدة (IOM) المهاجر بأنه ⁽⁷⁾ "أي شخص ينتقل أو انتقل عبر حدود دولية أو داخل دولة بعيداً عن مكان إقامته المعتاد، بغض النظر عن وضعه القانوني، وفيما إذا كانت الحركة طوعية أو غير طوعية، وأسبابها ومدة الإقامة..."

بشكل عام تلعب الحاجات الفسيولوجية والنزعة الفطرية للبحث عن الأمان، المعنوي والمادي، المؤثرات الرئيسية في عمليات الهجرة؛ وتثير العوامل الموضوعية في البيئة المحيطة التي تهدد عدداً من هذه المؤثرات، كلاً من مشاعر القلق والخوف واليأس التي تدفع الإنسان في بعض الأحيان إلى الاستجابة لهذه التهديدات بمغادرة المكان الذي يقيم فيه بشكل دائم أو مؤقت.

➤ أنواع الهجرة.

على الرغم من تعدد أنواع الهجرة إلا أنه يمكننا التركيز على نوعين رئيسيين، هما:

1. الهجرة الطوعية:

وتتم عن سابق تمعن وتفكير وقد تكون هجرة فردية أو جماعية، وللمرء أن يختار ما يحمله معه من مستلزمات أو ما لا يحمله، فليس هنالك مهدد مفاجئ لحياته ⁽⁸⁾ أما المهاجر وفقاً لهذا النوع من الهجرة، هو الشخص الذي ينتقل سواء بصورة فردية أو جماعية من موقع إلى آخر بحثاً عن وضع أفضل اجتماعياً أو اقتصادياً أو دينياً أو سياسياً. علماً أن هذا الانتقال إرادي وطوعي التماساً لحياة أفضل.

⁴ هناك أيضاً الهجرة الدائمة والمؤقتة والهجرة الشاقولية والهجرة الأفقية والهجرة الخارجية والهجرة الداخلية... إلخ

⁵ معجم المعاني (الإلكتروني)؛ تعريف ومعنى هجرة في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي؛ الرابط:

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/هجرة/>

⁶ منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة؛ الهجرة؛ الرابط:

<https://www.fao.org/migration/ar>

⁷ موقع الأمم المتحدة؛ الهجرة/ قضايا عالمية؛ الرابط: <https://www.un.org/ar/global-issues/migration>

⁸ انظر: د. إبراهيم دراجي؛ اللجوء والنزوح والهجرة؛ الناشر: الموسوعة العربية؛ بلا رقم طبعة وتاريخ نشر؛ الرابط:

وهناك البعض من الباحثين يصفون الهجرة الطوعية، بالهجرة الاقتصادية⁽⁹⁾ وهو مصطلح يعبر عن الهجرة من منطقة إلى أخرى، أو من دولة إلى أخرى بكامل الإرادة وبشكل حر بناءً على قرارات الفرد نفسه، وبالتالي هي هجرة اختيارية مبنية على بعض الأسباب التي يقررها الشخص المهاجر والتي في أغلب الأحيان تكون أسباباً اقتصادية. ونصّت المواثيق الحقوقية الدولية على حق الفرد في الهجرة الطوعية بشكل قانوني، فقد نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على هذا الحق في المادة (13) منه التي تؤكد أنه "يحق لكل فرد أن يغادر أي بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه"؛ ونص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: "يسمح بدخول زوج الأجنبي المقيم بصورة قانونية في إقليم دولة ما وأولاده القصر أو المعالين لمصاحبه والإقامة معه...".

في عام 2020م كان يعيش مائتان وثمانون مليون شخصاً خارج بلدانهم الأصلية⁽¹⁰⁾ وأكثر من مليار شخص قاموا بالهجرة داخلياً، كثير منهم ينتمون إلى المناطق الريفية؛ لقد تعددت الأسباب التي تدفع الإنسان إلى الهجرة⁽¹¹⁾، فالناس تهاجر لأسباب اقتصادية، ومنهم من يهاجر للانضمام إلى أفراد عائلته في مكان آخر، أو سعياً لتحصيل أكاديمي ومعرفي، أو الإقامة مع أخوة المعتقد، وهذا ما يندرج في إطار الهجرة الطوعية. ووفقاً لتقرير الهجرة العالمية لعام 2020 الصادر عن المنظمة الدولية للهجرة⁽¹²⁾ قُدر عدد المهاجرين الدوليين اعتباراً من حزيران 2019 بنحو 272 مليوناً على مستوى العالم، بزيادة 51 مليون عن عام 2010. وكان ثلثاهم تقريباً من العمال المهاجرين. وشكل المهاجرون الدوليون 3.5 في المائة من سكان العالم في عام 2019. وهذا مقارنة بنسبة 2.8 % في عام 2000، و2.3% في عام 1980.

2. الهجرة القسرية:

وهي هجرة إجبارية بطبيعتها، ويتم الاضطرار إليها عادة جراء الحروب والصراعات السياسية، أو بسبب عوامل طبيعية مثل الزلازل والبراكين والجفاف، أو بسبب البطالة أو انتشار الأوبئة، وأحياناً بسبب المشروعات التنموية الكبرى كبناء السدود والمدن الجديدة. وتتسبب من مصطلح الهجرة القسرية مصطلحات النزوح واللجوء والتهجير؛ فإذا حدثت هذه الهجرة⁽¹³⁾ داخل نطاق الوطن الواحد تُسمى "نزوح" ويطلق على الشخص القائم بفعل الهجرة نازح في مكان إقامته الجديد داخل نفس البلاد، فالنازحون هم "الأشخاص أو مجموعات من الأشخاص الذين أجبروا على هجر ديارهم أو أماكن إقامتهم المعتادة فجأة أو على غير انتظار أو من دون سابق تخطيط بسبب صراع مسلح أو نزاع داخلي أو انتهاكات منتظمة لحقوق الإنسان أو كوارث طبيعية أو من صنع الإنسان وهم لم يعبروا حدود أية دولة معترف بها دولياً."⁽¹⁴⁾

وإذا أجبر الشخص أو مجموعة أشخاص على ترك بلادهم خوفاً من الاضطهاد، أفراداً أم جماعات، لأسباب سياسية أو دينية أو عسكرية أو لأسباب أخرى، سُمي ذلك "لجوءاً" ويطلق على الشخص القائم بفعل الهجرة لاجئ أو طالب لجوء في دولة المقصد؛ ووفقاً لاتفاقية 1951م بشأن اللاجئين⁽¹⁵⁾ يُعرّف اللاجئ على أنه كل شخص "يوجد خارج دولة جنسيته بسبب خوف مبرر من التعرض للاضطهاد لأسباب ترجع إلى عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه لعضوية فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية، وأصبح بسبب ذلك التخوف يفتقر إلى القدرة على أن يستظل بحماية دولته أو لم تعد لديه الرغبة في ذلك".

9 د. أيمن زهري؛ الهجرة الدولية/ الحالة المصرية؛ الناشر: المجلس القومي للسكان/ وزارة الصحة والسكان المصرية- 2020؛ بلا رقم طبعة.

10 منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة/ بوابة دعم السياسات والحوكمة؛ الهجرة؛ الرابط:

<https://www.fao.org/policy-support/policy-themes/migration/ar>

11 الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر؛ CIFRC؛ الهجرة والنزوح؛ الرابط:

<https://www.ifrc.org/ar> عملنا/ الكوارث،- المناخ،-الأزمات/الهجرة-والنزوح

12 موقع الأمم المتحدة؛ قضايا عالمية/ الهجرة؛ الرابط:

<https://www.un.org/ar/global-issues/migration>

13 إبراهيم دراجي؛ اللجوء والنزوح والهجرة؛ الناشر: الموسوعة العربية؛ بلا رقم طبعة وتاريخ نشر؛ الرابط:

<https://arab-ency.com.sy/law/details/25685/6>

14 نفس المرجع السابق.

15 موقع الأمم المتحدة؛ اللاجئين والمهاجرون- تعاريف؛ الرابط:

<https://refugeesmigrants.un.org/ar/definitions>

أما التهجير أو الترحيل فهو ظاهرة تؤثر على سكان منطقة خاضعة للاحتلال أو الغزو؛ ويشير التهجير إلى نقل مدنيين بالقوة من المنطقة التي يقيمون فيها إلى منطقة تابعة للسلطة القائمة بالاحتلال أو منطقة أخرى، سواء كانت محتلة أم لا؛ وهو يختلف الزوج. ويُحظر الترحيل الفردي أو الجماعي بموجب اتفاقية جنيف الرابعة (المادة 49) بغض النظر عن دوافعه⁽¹⁶⁾

ووفقاً للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، بلغ عدد النازحين قسراً حول العالم 79.5 مليون في نهاية عام 2019. ومن هؤلاء، كان 26 مليوناً من اللاجئين، ونزح 45.7 مليون شخص داخلياً، و4.2 مليون طالب لجوء. إلا أن هذه الأرقام أصبحت أضعافاً استناداً إلى الأزمات السياسية والاقتصادية، والكوارث الطبيعية التي مر بها العالم منذ العام 2020م. كما ويتسبب النمو السكاني السريع في بعض البلدان النامية والفقيرة ضغوطاً تدفع باتجاه الهجرة، من خلال تضائل فرص العمل ونقص نظم الخدمة الاجتماعية.

استناداً إلى الأزمات والكوارث والتوترات العقائدية التي يمر بها العالم عامة، والشرق الأوسط خاصة، يمكن ملاحظة أن الهجرة القسرية باتت التعبير الرئيسي عن عمليات نقل وانتقال مجموعات كبيرة من البشر عن مناطق سكناهم، ولم يعد مفهوم الهجرة الطوعية كظاهرة طبيعية ينال الكثير من الاهتمام في الأبحاث والتقارير الموثقة في مجال الدراسات الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بحركة المجموعات البشرية بعيداً عن مواطنها الأصلية التي تشهد الأزمات والكوارث والتوترات؛ لذلك هناك العديد من العوامل الذاتية والموضوعية التي تجبر البشر على الرحيل عن مواطنهم، وذلك استناداً إلى ما يتم ملاحظته من مشاهد الإستماتة وما يلقونه من مخاطر من أجل الوصول إلى البلدان الغنية أو باتجاه المناطق الآمنة نسبياً عبر الجبال والبحار والغابات والثلوج والحدود المسوّرة بالبنادق والأسلاك الشائكة.

➤ الهجرة القسرية، أنواعها وأسبابها.

بالاستناد إلى التعريف الذي تم تقديمه عن الهجرة القسرية في الفقرة السابقة، يمكننا تمييز نوعين من هذه الهجرة:

3. الهجرة القسرية المباشرة:

وتتمثل بعملية التهجير، وهي عملية إجبار أشخاص أو مجموعة بشرية على الرحيل عن موطنهم بوسيلة ما لأهدافٍ سياسية.

لقد أصبح التهجير سمة مميزة لسياسة القوى المتبينة لأيديولوجيات دينية وقومية متطرفة⁽¹⁷⁾، والساعية لفرض تسلطها على جغرافية ما؛ وباتت سياسة تشهدا معظم بؤر التوتر في العالم التي تنشط فيها تلك القوى وتتصارع فيما بينها، خاصة منذ بداية القرن العشرين، ويحتل الشرق الأدنى صدارة هذا المشهد، حيث ازدادت وتيرة عمليات التهجير في خضم الأزمات التي تمر بها كلاً من الدول، سوريا والعراق وتركيا والأراضي الفلسطينية، بفعل الأيديولوجيات المتطرفة، التي تسببت بمعاناة مئات الآلاف من البشر بعد ترحيلهم عن مناطقهم وإسكانهم في مناطق أخرى بعيدة في مخيمات بائسة أو منازل متهالكة أو ضواحي فقيرة، وتوطين آخرين في معظم الأحيان مكانهم، في مستوطنات أنشأت خدمة لأجندة سياسية قائمة على إبادة ثقافة شعب ما وتوطين ثقافة أخرى غريبة عن خصائص الجغرافيا الثقافية⁽¹⁸⁾ في المنطقة التي شكلت هوية وثقافة الشعب المهجر منذ قرون خلت.

¹⁶ القاموس العملي للقانون الإنساني؛ ترحيل؛ الرابط:

<https://ar.guide-humanitarian-law.org/content/article/5/trhyl>

¹⁷ د. موسى سمحة؛ الهجرة القسرية: التعريف، التصنيف، الأنماط، الدوافع، التيارات والآثار؛ الناشر: الجامعة الأردنية/ 1989م؛ بلا رقم طبعة.

¹⁸ الجغرافيا الثقافية هي إحدى فروع الجغرافيا، وتعرف بشكل عام بأنها العلم الذي يدرس العلاقة بين المكان والثقافة، وكيفية تشكل القيم والممارسات الثقافية وطريقة انتشارها، والتي تشكل المعاني والهويات الخاصة التي تميز كل مجتمع... للمزيد راجع:

مايك كرانغ؛ الجغرافيا الثقافية/ أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الإنسانية؛ ترجمة: د. سعيد منتاق؛ الناشر: عالم المعرفة- الكويت / 2005، بلا رقم طبعة.

أحياناً قد يقاوم الإنسان خوفه ويصبر على ظروفه القاسية من أجل التمسك بموطنه، من خلال التسلح بثقافته أو التحصن بعقيدة روحانية أو الاستقواء بمعنويات يستمدّها من أيديولوجية ما، هنا يزداد وضوح معنى التهجير كسياسة تأمرية، عندما تعتمد قوة سياسية ما، سواء أكانت دولة أو تنظيمًا أو جماعة، إلى قمع إرادة البقاء في المكان، وترحيل الإنسان رغماً عنه بالقوة والترهيب؛ وما يلفت النظر أن الذي يرغم أناساً على الرحيل هو إنساناً آخر يتذرع بعقيدة روحانية مخالفة أو متحرض بفعل أيديولوجية إقصائية؛ يُخمد من خلالها مشاعره الإنسانية وينبذ التسامح، ويؤجج العدوانية تجاه الآخر المختلف والتي يشكل التهجير أحد مظاهرها.

4. الهجرة القسرية غير المباشرة:

يرتكز هذا النوع من الهجرة القسرية على فكرة إرغام الآخرين على الهجرة أو تهجيرهم من خلال بث مشاعر القلق والخوف واليأس في نفوسهم، بوساطة كل من:

1. إيصال المشاهد المروعة والأخبار المُفزعَة وخطاب الكراهية إلى المجتمعات المستهدفة عبر الإشاعات والمواقع الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي.
2. زعزعة الاستقرار من خلال شبكات العملاء والمرتبقة، وتأزيم الوضع المعيشي من خلال الحصار الاقتصادي وسياسة الابتزاز المائي أو الطاقوي.
3. تنفيذ اعتداءات عسكرية محدودة، عبر تدمير أو تعطيل بعض البنى التحتية الخدمية، وقصف مراكز عسكرية أو مؤسسات مدنية معينة.
4. أحياناً تلعب المؤسسات الخدمية المحلية دوراً محرضاً على الهجرة بسبب ضعف الإدارة الرشيدة نتيجة لنقص الكفاءات أو ضعف النزاهة لدى البعض أو عدم القدرة على توفير الموارد لعمليات التنمية الخدمية المختلفة.

تعرض هذه الأمور عادة على القلق الذي ينشأ عن التوقع لخطر محتمل، ويعدّ أحد المصادر الأساسية للخوف؛ وقد تبين أنه كلما زاد مستوى القلق كلما مال الفرد إلى التطرف في الاستجابة، يدفعه القلق للبحث عن التعويض والأمان من أجل تبديد هذا القلق؛ والمبالغة في القلق يتسبب في انعدام الأمن النفسي والنظر إلى العالم على أنه مصدر للتهديد. ويتفشى القلق مع ازدياد العدوانية واليأس وانعدام مشاعر الأمان في البيئة المحيطة، الأمر الذي يُولد الخوف، ويدفع الإنسان إلى القيام بسلوك ما كمغادرة تلك البيئة.

أمّا الخوف فهو كالقلق، له بعد ذاتي وآخر موضوعي؛ فتفكير الإنسان يستحضره بفعل مؤثر خارجي مُقلق؛ ويعتبر الخوف دافعاً طبيعياً يتولد داخل الإنسان، تحرضه على حماية نفسه والدفاع عنها، بأي وسيلة تحقق له العيش بأمان وفقاً لاعتقاده. ويُعرّف الخوف (19) بأنه "رد فعل في جسم الإنسان، في مواجهة شيء يهدد سلامته... ورد الفعل هذا يكون عادة حالة إنفعالية يشعر بها الإنسان بمستويات مختلفة وبدرجات متعددة، حسب المؤثر". وينغمس الخوف في مشاعر الإنسان أثناء محاولته الاستجابة للقضايا التي يولدها الفقر والجهل والقهر السياسي؛ حيث أن الرغبة في حماية النفس، وتأمين الأمن للمقربين، ومواجهة التهديدات المفاجئة يجعل النفس أحياناً تستسلم لمشاعر الخوف، وبالتالي قابلية النزوع إلى الهجرة، إلا أن من يضع الإنسان في موقف كهذا بشكل متقصد يحوّل الخوف إلى الدافع الأكثر تأثيراً في عملية التهجير، الأمر الذي ينفي نسبياً دوره في حدوث الهجرة الطوعية في وقتنا الراهن. وبحسب وكالة الأمم المتحدة للاجئين (20) في عام 2019م، نزح 70.8 مليون فرد داخلياً نتيجة للاضطهاد أو النزاع أو العنف المعمم أو انتهاكات حقوق الإنسان وكلها أمورٌ تثير القلق والخوف في نفوس من يتعرض لها.

أما اليأس فيتولد من عدم قدرة الشخص على الاستجابة الإيجابية لبيئته والتشاؤم من المستقبل، ومن أبرز مظاهرها:

19 د. صموئيل حبيب؛ الخوف؛ الناشر: دار الثقافة - القاهرة؛ الطبعة الأولى/1989؛ ص9.

20 صندوق الأمم المتحدة للسكان (الدول العربية) / JNFPA؛ الهجرة؛ الرابط:

الهجرة/https://arabstates.unfpa.org/ar/topics

- عدم الرغبة في التأقلم مع الواقع السياسي القائم لأسباب أيديولوجية.
- أو صعوبة التكيف مع الوضع الاقتصادي القائم بعد فقدان مصدر الرزق على سبيل المثال أو بسبب الانخراط في أعمال شاقة جسدياً أو ذهنياً، أو نتيجة لفقدان الأمن الوظيفي أو صعوبة تأمين المسكن.
- أو العجز عن التعامل البناء مع التحديات ومواجهة التهديدات.

والإياس عادة يعد نتيجة حتمية لدى الفشل في معالجة أسباب القلق والخوف، وتعود إلى السخط على الواقع المعاش، ويتم إيجاد قنوات تبرر الهجرة، إلا أنها من حيث المبدأ تعد عاملاً من عوامل الهجرة القسرية غير المباشرة في المناطق التي تستهدفها المشاريع الأيديولوجية الإقصائية.

ثانياً- سياسة الإرغام على الهجرة من شمال وشرق سوريا.

➤ الهجرة في شمال وشرق سوريا.

يعتبر السوريون بشكل عام من أكثر اللاجئين مرونة في التكيف مع البيئات التي يجدونها آمنة، بسبب ما تعرضوا له من قهر سياسي وظلم اقتصادي، وتبخيس قيمة مهاراتهم واجتهادهم في العمل من قبل الأوليغارشية المحلية التابعة للنظام السوري والجماعات المتطرفة السورية، بالإضافة إلى طموحات البعض منهم في تحقيق ذاتهم المتأثرة بالقوة الناعمة لدولة المهجر سواء بالعمل أو بالتحصيل العلمي، لذلك نجد سرعة تقبل الدول لاحتوائهم ودمجهم في مجتمعاتهم ومنحهم هوياتها الوطنية.

كما هو معلوم تحاول الدول الصناعية حماية نفسها من الأزمات الاقتصادية، وخاصة تلك المتعلقة بنقص اليد العاملة والحاجة إلى المزيد من الكفاءات المهنية؛ لذلك تُسخر تقدمها التكنولوجي والاقتصادي ومظاهر الديمقراطية فيها، لإقناع أصحاب الكفاءات والعاطلين وذوي الطموحات والمقهورين والساخطين، على الهجرة إلى هذه الدول والإقامة فيها، حيث تصرف ملايين الدولارات عليهم في سبيل دمجهم في مجتمعات الدول التي لجأوا إليها، ومنحهم هوية الوطن الجديد. وهذا ما تم ملاحظته من قبل معظم الذين فكروا وأولئك الذين لا يزالون يفكرون بالهجرة من شمال وشرق سوريا وباقي المناطق السورية الأخرى، بسبب تفاقم الأزمة المعيشية في عموم سوريا، وغياب أفق الحل للأزمة السورية، وتغلغل الفساد الذي تحول إلى وسيلة لدى البعض للاغتناء أو تأمين قوت اليوم، والصراع الأيديولوجي الطائفي وتنامي خطاب الكراهية على أسس عرقية وطائفية ودينية. بالإضافة إلى التهديدات المستمرة ضد عددٍ من المجتمعات المحلية من قبل كل من النظامين التركي والسوري والفصائل الموالية لكل منهما، وتنظيم داعش.

من جهة أخرى بات الجفاف الذي يضرب المنطقة بفعل نقص الهطولات المطرية وخفض تركيا لمنسوب مياه نهر الفرات بشكل غير مسبوق وتجفيفها لنهر الخابور والإيقاف المتواتر لمحطة مياه علوك في ريف سري كانييه/رأس العين التي تحتلها تركيا وممرزقتها التي حُرمت قرابة 460 ألف فرد على الأقل من إمدادات مياه الشرب بحسب التقرير السنوي لهيومن رايتس ووتش⁽²¹⁾. كل هذه الأمور صعبت حياة السكان وجعلتهم ينجذبون إلى الإغراءات التي تقدمها الدول الغنية، وبذلك تصبح الهجرة لدى البعض السبيل الوحيد للخلاص، ويبدأ مغامرة الرحيل عبر الطرق الموحشة أو الأمواج الهائجة أو المطارات الدولية بجوازات سفر مزورة، وفي الكثير من الأحيان يفشل في الوصول أو يفقد حياته في الطريق. إن سعي بعض الدول لاستقطاب اللاجئين واستبدال هويتهم الوطنية على الرغم من قدرتها على المساهمة في حل مشكلات بلدان هؤلاء اللاجئين، يعد شكلاً من أشكال التهجير، يمكننا تسميته مجازياً بالتهجير الناعم.

من جانبها تتحمل الإدارة الذاتية جزءاً من المسؤولية في الحد من موجات الهجرة وإعاقة الهجرة القسرية، فمسألة الإهمال الوظيفي تعاني من ضعف الرقابة، الرسمية والمجتمعية والإعلامية، كما أن الإدارة الذاتية لم تتمكن

²¹ Human Rights Watch؛ سوريا أحداث عام 2020م؛ الرابط:

<https://www.hrw.org/ar/world-report/2021/country-chapters/syria>

حتى الآن من إيجاد آلية عمل دقيقة لمواجهة وإفشال الدعاية السوداء الموجهة ضدها، وباستثناء الدبلوماسية العسكرية لم تستطع حتى الآن من تعزيز دبلوماسيتها عبر القنوات الثقافية والاقتصادية والحقوقية والتعليمية، لكسب زخمٍ في علاقاتها مع المجتمعات الأجنبية والشركات العابرة للحدود والمحاکم الدولية وجامعات الدول المتقدمة علمياً، وكذلك لا تمتلك سياسة واضحة في إعاقة عمليات التهجير من المناطق المحتلة وعودة المهجرين إلى مناطقهم بشكل آمن. من ناحية أخرى هناك ضعف في استثمار الموارد المتاحة، خصوصاً في مجال الطاقة الشمسية وتحلية المياه الملوثة، ولا يوجد دعم كافٍ للمشاريع الصغيرة والصناعات التجميعية، ولا تشجع الابتكارات والكفاءات بالمكافآت والامتيازات، ولا تقدم المساعدة الكافية في مجال الرعاية الاجتماعية والصحية. على الرغم من ذلك لا تزال المجتمعات المحلية تراهن على الإدارة الذاتية لتحسين وضعها المعاش، وتعتبرها مؤسسة رسمية بالنسبة لها وأفضل نسبياً من باقي الأنظمة الإدارية الأخرى في سوريا. يلاحظ ذلك من خلال التفاعل مع قراراتها عبر التقيد بها ونقدها، والتماس المساعدة الخدمية والحماية والتقاضي منها. لذلك فإن عدم معالجة هذه المسائل من شأنه أن يدعم عمليات التهجير الناعم.

ومن أجل الوصول إلى تصور واضح عن الهجرة القسرية في شمال وشرق سوريا، بنوعها المباشر وغير المباشر، من المفيد فهم الموقف العام منها والنظر في بعض الآراء بخصوصها، لتقديم أفكار استناداً إلى ملاحظة حيثياتها، وتحليل نتائج استطلاع الرأي الذي قامت به NRLS عام 2016م وتم اختيار بعض الآراء المتقاطعة والمعلومات العامة بخصوص هذه الظاهرة، وتقديمها بشكل مبسط على شكل إجابات مختصرة لتساؤلات محددة بخصوص الظاهرة، وذلك بالشكل التالي:

- ماهية الهجرة: يعتقد كل من يفكر بالهجرة بأنه سينتقل إلى مكان أفضل من المكان الذي يقيم فيه، ولكن في العادة يركز على ما يعالج أسباب قلقه ويهمش أشياء في بيئته قد لا تتوفر في المكان الذي يهاجر إليه.
- اتجاه الهجرة: تعد الدول الغنية والتي تحترم حقوق الإنسان نسبياً الوجهة المفضلة للمهاجرين، وتأتي في المقدمة البلدان الأوروبية وأمريكا ودول الخليج وكندا، بينما يختار الذين لم يتمكنوا من تأمين تكاليف الهجرة إلى تلك البلدان، التوجه إلى البلدان المجاورة ليلجأ إلى مخيمات ترعاها منظمات دولية أو إلى أقارب له في تلك الدول.
- كيفية الهجرة: يعتمد من يتخذ قرار الهجرة إلى تأمين مصاريف هجرته لاجتياز حدود الدول بشكل غير قانوني في معظم الأحيان من أجل الوصول إلى مقصده، ودرجت العادة في المنطقة على بيع الممتلكات أو استئانة أموال، يتم دفعها إلى مهرب عبر طرف موثوق، ويتم اختيار سبيل الهجرة الذي يتناسب مع قدرة المهاجر على دفع تكاليفها، وعادة تتراوح بين \$15000 و\$25000، بسحب شكل الطريق براً أو بحراً أو جواً وتزداد التكلفة كلما كان الطريق آمناً.

- دوافع الهجرة: بحسب ما يتم رصده على أرض الواقع هناك مجموعة من الذرائع التي تقدم لتبرير الهجرة أو التهرب من المساءلة الوجدانية بخصوص التدايعات التي تسببها الهجرة، لعل أبرزها التذرع بالأزمة الاقتصادية وسوء الخدمات أو التعصب لمعتقدات سياسية مناهضة للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا⁽²²⁾، وهناك من يتذرع بالانبهار بثقافة الدول الغربية دون الأخذ بعين الاعتبار بأن تلك الثقافة بنتها شعوب مرت بظروف مشابهة نسبياً للظروف التي يعيشها المتذرع. وهناك ذرائع القلق والخوف والبحث عن المعرفة، والتي يمكن مناقشتها استناداً إلى الظروف السياسية والاقتصادية والأمنية التي تشهدها المنطقة منذ سنوات.

بشكل عام تختلف أسباب الهجرة من شخص إلى آخر استناداً إلى الظروف التي تدفعه إلى الهجرة في سياق الأزمة السورية، ولدى تقصي أحوال بعضاً ممن هاجروا أو يفكرون بالهجرة يمكن ملاحظة أبرز الأسباب وهي:

1. الدوافع الاقتصادية: ويعد أبرز الدوافع بالاستناد إلى استطلاع الرأي الذي قام به المركز عام 2016م حيث بينت نتائج الاستطلاع بأن غالبية الآراء تقاطعت على أن الدافع الاقتصادي هو السبب الرئيسي للهجرة تلاها دافع البحث

²² للاطلاع على بعض من ذرائع هذه الفئة انظر: رينا نتجيس؛ حدود الاتحاد الأوروبي تبدأ من الطريق "إم4" في سوريا؛ الناشر: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى؛ تاريخ النشر: 26 مايو 2023م؛ الرابط:

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/hdwd-alathad-alawrwby-tbda-mn-altryq-am-4-fy-swrya>

عن الأمان. وفي عام 2022، كان 90% من السوريين يعيشون تحت خط الفقر وكان ما لا يقل عن 12 مليون سوري من أصل نحو 16 مليوناً من السكان يعانون من انعدام الأمن الغذائي لحسب "برنامج الأغذية العالمي" (23).
2. الدوافع الأمنية: وتكمن في كل من القلق والخوف، القلق من خطر لم يقع بعد أو قد يقع، وتعد التهديدات التي تتعرض لها مجتمعات شمال وشرق سوريا من قبل كل من أنظمة الحكم في كل من أنقرة ودمشق، بالإضافة إلى تهديدات التنظيمات المتطرفة مثل داعش ومرتزقة الدولة التركية والقاعدة، وتنامي خطاب الكراهية التي تبثها وسائل إعلام التابعة لكل من النظامين السوري والتركي والإيراني وجماعة الإخوان المسلمين وداعش وجماعات حزبية محلية، ضد كلاً من الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية وأتباع المعتقدات الدينية المسيحية والإيزية مصدر قلق بارز لدى البعض.

ومن الأسباب الأخرى للقلق فقدان مصدر الرزق بسبب الجفاف الذي يضرب المنطقة، أو تهجيرهم من مناطقهم من قبل داعش أو القوات التركية أو مرتزقتها.

وهناك الخوف من التعرض للأذى من خطر واقع، وأكثر من تأثر به السكان الذين تعرضت مناطقهم لاجتياح عسكري، من قبل كل من القوات التركية ومرتزقتها وداعش، حيث تسبب الخوف من هذه القوى بموجات نزوح غير مسبوقة في المنطقة، وتحول هذا الخوف إلى مصدر قلق للآخرين في المناطق الأخرى من شمال وشرق سوريا. 3. الدوافع السياسية؛ هناك فئة من المهاجرين دفعتهم معتقداتهم السياسية المؤيدة للقوى التي تبث القلق والخوف في نفوس مجتمعات شمال وشرق سوريا إلى الهجرة، على الرغم من أن معظمهم يمارسون نشاطاتهم السياسية السلمية بحرية في المنطقة طالما أنها لا تتعارض مع العقد الاجتماعي لشمال وشرق سوريا.

■ وتبين أنّ المهاجرين لا ينتمون إلى فئة اجتماعية أو تعليمية أو اقتصادية أو ثقافية محددة؛ وعادة ما يتم إرسال فرد واحد أو أكثر من العائلة، وبعد الحصول على الإقامة يتم جلب باقي أفراد العائلة عن طريق قانون لم الشمل، وإذا كان المهاجر قاصراً تتم إجراءات لم الشمل بسرعة أكبر نسبياً، وأحياناً تهاجر عائلات بأكملها لتوفير الوقت، إلا أن العديد من العائلات لا تحبذ الهجرة ولكنها تفضل هجرة فردٍ منها بغرض العمل وتقديم الدعم المادي للعائلة عن طريق الحوالات المالية. وبحسب استطلاع الرأي عام 2016م تقاطعت النسبة الأكبر للمستطلعة آرائهم على عدم تأييدهم للهجرة، في عينة شمال وشرق سوريا كانت نسبة الإجابة على السؤال "هل تؤيد فكرة الهجرة إلى الخارج؟" كانت النتيجة (86.1% لا) وعينة إقليم كردستان "هل تشجع من تبقى داخل روجآفا على الهجرة؟" كانت النتيجة (91.7% لا) أما عينة تركيا وشمال كردستان "هل تشجع من تبقى داخل روجآفا على الهجرة؟" كانت النتيجة (72.1% لا) بينما عينة أوروبا "هل تشجع من تبقى داخل روجآفا على الهجرة؟" كانت النتيجة (57.5% لا).

■ وتزداد موجات الهجرة أثناء تصاعد الهجمات على المنطقة، أو تنامي وتيرة الدعاية السوداء ضد الإدارة الذاتية، أو ظهور سبل رخيصة كموجات الهجرة التي أعقبت فتح تركيا لحدودها تجاه أوروبا، أو تضرر أحد موارد الجغرافيا الاقتصادية لشمال وشرق سوريا بسبب ضرب البنية التحتية أو الجفاف.

■ وتعدّ الهجرة أحياناً حلاً مؤقتاً لمشكلات على المستوى الفردي طالما أن الخوف الذي دفع إلى الهجرة كسبب قاهر لا يزال موجوداً، إلا أنه يمكن أن تبرز مشكلات أخرى في البلاد التي هاجر إليها، خاصة في المسائل الاجتماعية والثقافية، وعدم القدرة على الاندماج في المجتمع الجديد المختلف، وصعوبة التكيف مع بيئة العمل الجديدة.

بالنسبة للهجرة القسرية المباشرة؛ فقد تجلت بشكل واضح في المناطق التي احتلتها القوات التركية ومرتزقتها في كل من عفرين وكري سي/تل أبيض وسري كانييه/رأس العين، ووثقت كلاً ممن منظمة العفو الدولية والمرصد السوري لحقوق الإنسان ومنظمة حقوق الإنسان في عفرين ومنظمة حقوق الإنسان في الجزيرة ومركز توثيق الانتهاكات في الشمال السوري العشرات من حالات تهجير السكان الأصليين بشتى الطرق المختلفة، ومصادرة

23 برنامج الأغذية العالمي؛ سوريا؛ الرابط:

https://ar.wfp.org/countries/syria-ar?_ga=2.31880062.1370061897.1671339182-1085815231.1671339182

ممتلكاتهم وبناء مستوطنات للوافدين من المناطق السورية الأخرى، ففي المرحلة الأولى من عمليات التهجير القسري تم قصف المناطق المدنية بشكل متعمد الأمر الذي أدى إلى ترويع المدنيين ودفعهم إلى النزوح من المناطق المستهدفة، وبعد إتمام عمليات الاحتلال بدأت عمليات تهريب المدنيين عبر الاعتقال التعسفي وسوء المعاملة والتعذيب، ومصادرة الممتلكات والمواسم الزراعية، ولا تزال هذه الانتهاكات مستمرة لتهجير من تبقى من السكان الأصليين⁽²⁴⁾.

➤ ديناميات الهجرة القسرية في شمال وشرق سوريا.

تقف الأيديولوجيات المناهضة(*) للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا وراء عمليات الهجرة القسرية بنوعيتها المباشر وغير المباشر؛ حيث تمتلك القوى المتبينة لهذه الأيديولوجيات ديناميات⁽²⁵⁾ مختلفة في تسخير ظاهرة الهجرة لإضعاف الإدارة الذاتية من أجل أهدافها السياسية، ولزيادة وتيرة الهجرة تلجأ هذه القوى إلى بث القلق والخوف واليأس في نفوس المجتمعات المحلية التي نأت بنفسها عن الصراع السياسي والطائفي الذي ألحق الدمار بباقي المناطق السورية، وأحياناً لجأت إلى عمليات التهجير الممنهج كما حدث أثناء مهاجمة مدن كوباني وتل تمر والحسكة والرقعة ومنبج وغيرها، وبعد احتلال عفرين وسري كانييه/رأس العين وكري سي/تل أبيض حيث تم تهجير مئات الآلاف من الكرد والإيزيديين والمسيحيين والعرب المتعاطفين معهم عن مناطقهم. ومن أجل صياغة تصور بخصوص هذا الأمر هناك مجموعة من الأحداث المتواترة التي استندت إليها ديناميات الهجرة القسرية، ومن المفيد سردها:

تعد سوريا من البلدان الغنية بالموارد الاقتصادية والثقافات العريقة، إلا أنها تعد من البلدان التي تفتقر إلى مبادئ الديمقراطية في ممارسات حكوماتها المتعاقبة منذ تشكيلها كدولة مستقلة، وذلك بالاستناد إلى كل من ضعف الإدارة الرشيدة للموارد الاقتصادية والبشرية، وانعدام الشفافية، وضعف الاستجابة لنداءات الجفاف والبطالة وتنامي الأوليغارشية، وتعرض عامة الناس لمضايقات أمنية، والتعذيب في مراكز الاحتجاز، وتجريم كل سلوك يتنافى مع أيديولوجية حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم، هذه الأمور وغيرها أضعفت مشاعر الانتماء الوطني، وحققت نفوس السوريين بمشاعر القلق والخوف، وأشعرت المكونات الأخرى بالاغتراب داخل وطنها، والتي فعلت فعلها في إجبار آلاف الأشخاص إلى الهجرة الداخلية والخارجية؛ وكانت مناطق شمال وشرق سوريا من أكثر المناطق التي عانت من وطأة الظلم والإهمال التنموي اللذان تسببت بهما أنظمة الحكم التي تعاقبت على سوريا. فعلى سبيل المثال جرت عمليات الهجرة والتهجير بشكل متوازي منذ فترة الستينات في إطار ما سُمي بمشروع الحزام العربي(**)، حيث قام النظام السوري بنقل وتهجير الآلاف من المكون العربي من مناطقهم في الرقة وريفها بذريعة غمر مياه مشروع سد الفرات قراهم وأراضيهم، وإسكانهم في المناطق الكردية في المناطق الحدودية، واستملاكهم أكثر من 700 ألف دونم من الأراضي المصادرة من الفلاحين الكرد، وإقامة قرى نموذجية مزودة بالمياه والمدارس

²⁴ للاطلاع على أحد التقارير الموثقة انظر: منظمة العفو الدولية؛ سوريا: يجب على تركيا وضع حد للانتهاكات التي ترتكبها الجماعات الموالية لها والقوات المسلحة التركية ذاتها في عفرين؛ تاريخ النشر: 2018.08.02م؛ الرابط:

<https://www.amnesty.org/ar/latest/news/2018/08/syria-turkey-must-stop-serious-violations-by-allied-groups-and-its-own-forces-in-af-ir>

* من خلال رصد الوضع السياسي والأمني في شمال وشرق سوريا يمكن تحديد أبرز القوى المتبينة لهذه الأيديولوجيات، وهي: حزب العدالة والتنمية التركي AKP ويتبنى أيديولوجية عثمانية بنزعة قومية تركية- حزب البعث العربي الاشتراكي ويتبنى أيديولوجية عنصرية متشددة- الجماعات السلفية المتطرفة كتنظيم داعش وجبهة النصرة والقاعدة وجيش الإسلام وهي جماعات متخاصمة وتتبنى أيديولوجية دينية متشددة، وتسعى لإقامة خلافة أو إمارة إسلامية بنزعة مذهبية (سنية) وقومية عربية- جماعة الإخوان المسلمين وتتبنى أيديولوجية دينية براغماتية وتسعى لإقامة دولة إسلامية بنزعة مذهبية (سنية) وقومية عربية- جماعة الولي الفقيه وتتبنى أيديولوجية دينية متشددة، وتسعى لإقامة حكومة إسلامية عالمية بنزعة مذهبية (شيوعية) وقومية فارسية. وهناك مجموعة من الأحزاب والجماعات الموزعة في ولائها بين تلك الأيديولوجيات من كردية وعربية وسريانية إلا أنها لا تمتلك جاذبية لدى المجتمعات المحلية، كما أن المشروع الثقافي والسياسي لكل واحدة من هذه الأيديولوجيات لا يلائم ثقافة المجتمعات المحلية، وقد فشلت معظمها سابقاً في صهر معظم المجتمعات في مشاريعها، وعلى أرض الواقع لا يمكن تحديد أية مؤشرات تعبر عن الثقافة العثمانية أو البعثية أو الداعشية إلا لدى بعض الأشخاص المتعصبين أيديولوجياً لها...

²⁵ دينامية الجماعة: هو مصطلح يشير إلى نظام من السلوكيات والعمليات النفسية التي تحدث داخل مجموعة اجتماعية نفسها... ويمكن تعريف دينامية الجماعة كمجال دراسة يركز على تطوير المفاهيم حول طبيعة الجماعة، والقوانين التي تتحكم في تطورها وعلاقاتها المترابطة مع الأفراد ومع الجماعات الأخرى والمسلّمات التي تتعلق بها... الدينامية: حالة الدفع والأنشطة المتماسكة والمتسقة والمجتمعة التي تؤدي إلى تحقيق هدف الجماعة على النحو المتوخى... ويكيبيديا- الموسوعة الحرة؛ قوة محرك للجماعة.

والحماية الأمنية، تم فيها توطين أكثر من أربعة آلاف أسرة عربية من محافظة الرقة؛ حيث امتد الحزام بطول 300 كيلو متر وعرض 10-15 كيلو متر، من الحدود العراقية في الشرق إلى سري كانييه/رأس العين في الغرب. وتمت ممارسة سياسة أمنية قمعية لعل أبرز مظاهرها الإحصاء الاستثنائي الذي أجري في محافظة الحسكة بتاريخ 1962.10.05م بموجب المرسوم التشريعي رقم (93)، وحرّم آنذاك (150) ألف كردي من الجنسية السورية، وتم تصنيفهم تحت مسمى "الأجنبي" وقيدوا بهذه الصفة في السجلات المدنية في المحافظة وبعض منهم لم يرد لهم أسماء في سجلات الإحصاء وتمت تسميتهم "مكتومي القيد" الذين جردوا تماماً من حقوقهم المدنية؛ حيث حرّموا من العمل داخل المؤسسات الحكومية وتجريدتهم من حق الانتخاب وحرمانهم من امتلاك الأراضي والعقارات، وعدم الاستفادة من الضمان الصحي والبطاقة التموينية، والاستشفاء في المشافي والنقاط الطبية، وحجز الفنادق، وصولاً إلى سلك التعليم حيث لا يحق لمكتومي القيد الحصول على وثائق الشهادة الإعدادية والثانوية أما الأجانب فقد كانوا محرومين من الدراسات العليا، كما وتم منعهم كباقي الكرد من التحدث بلغتهم الخاصة ومنع الموسيقى والأغاني الكردية والاحتفال بعيد النيروز القومي، وكانت هذه السلوكيات كفيلة بفتح باب الهجرة أمام الآلاف من الكرد إلى الخارج بحثاً عن القيم الإنسانية، وقد ورث الكرد هذه الصفة إلى الجيل المتعاقب له ليبقى ذلك الجيل أيضاً بعيداً عن حقوقه الأساسية للعيش بأمان ولبقى باب الهجرة مفتوحاً أمامهم (26)؛ بالتزامن مع التوزيع غير المتكافئ للموارد والخدمات والفرص على مستوى البلاد، وتهميش عمليات التنمية الاقتصادية في شمال وشرق سوريا، خاصة مع ازدياد حدة الجفاف في المنطقة مطلع العام 2008م، وبالتزامن مع تحرير الحكومة أسعار بعض المشتقات الزراعية ورفع سعر المحروقات، انهارت الزراعة في مقاطعة الجزيرة، وفقاً لما ذكرته الأمم المتحدة فقد تعرّضت 60٪ من الأراضي السورية و1.3 مليون شخص، معظمهم من مقاطعة الجزيرة، إلى أضرار وخيمة بسبب الجفاف؛ وطبقاً للاتحاد الدولي للصليب الأحمر والأمم المتحدة، فإن ما يزيد عن 800 ألف شخص فقدوا موارد رزقهم بالكامل؛ أجبرت الآلاف من المكون الكردي وكذلك العربي الذين يعتمدون على الزراعة كمصدر لرزقهم على الهجرة إلى المحافظات البعيدة أو إلى خارج البلاد.

لقد أصبح القلق من الفقر أو الكراهية، والخوف من الملاحقات الأمنية والاعتقال التعسفي، هاجساً لدى شريحة كبيرة من أفراد المجتمعات المحلية في شمال وشرق سوريا، وفي الغالب لم يعد لديها سوى خيارين، إما التماهي مع البيئة المحيطة أو مسايرتها، أو الرحيل إلى بيئة آمنة نسبياً، ومعظم الجاليات السورية الحديثة حول العالم ظهرت بفعل اتخاذ قرار الرحيل، أما من بقي فتمرقوا بين متماه مع السلطة ومعارض خفي للنظام السياسي في سوريا. واستناداً إلى إصرار النظام السوري في الاستمرار بالعمل وفقاً لعقيدته السياسية والأمنية، التي عززت مشاعر القلق والخوف في نفوس المواطنين، لم يعد بالإمكان وصف مغادرة الناس لمناطقهم بسبب هذه العقيدة إلا كسياسة تهجير ممنهجة.

مع اندلاع أعمال العنف وتنامي خطاب الكراهية في سياق الأزمة السورية التي بدأت عام 2011م، تنامت مشاعر القلق والخوف بشكل مضطرد، وبلغت ذروتها مع الصعود الدراماتيكي لتنظيم داعش عام 2014م الذي رفع مستويات العنف إلى حد التوحش، وباتت عمليات قطع الرؤوس وحرق البشر والقتل الجماعي والاستعباد الجسدي والجنسي وتفجير المفخخات في الطرقات، مشاهد دارجة في الفضاء الإعلامي المحلي، وتسببت بمفاقمة مشاعر القلق والخوف بشكل بالغ، خاصة لدى الإيزيديين والمسيحيين والعلمانيين والصوفيين واتباع المذاهب السنية الأخرى، حيث قام التنظيم بتكفيرهم جميعاً، الأمر الذي شرّع قتلهم وجواز انتهاك حقوقهم، مما وضع من تبقى من أفراد المجتمعات المحلية مجدداً أمام مفترق طرق، فإما التماهي مع البيئة المحيطة الجديدة أو مسايرتها، أو الرحيل إلى بيئة آمنة نسبية، إلا أنه في هذه المرة اختارت شريحة واسعة من المجتمعات المحلية خياراً آخر، وهو البقاء

²⁶ ليلي سوار وروجين شاويش؛ الهجرة/أسبابها وتداعياتها - الهجرة الكردية؛ الناشر: مجلة دراسات كردية العدد 8 تاريخ: خريف 2016م.

** يعدّ مشروع الحزام العربي من السياسات المضطهدة التي طبقت ضد الكرد في سوريا، تلك السياسة التي أتبعها نظام البعث في عهد الرئيس حافظ الأسد، وهو مشروع يعود إلى عهد الوحدة بين سوريا ومصر وعراب هذا المشروع هو ضابط المخابرات (محمد طلب هلال) الذي أقرته الحكومة السورية في عام 1965م، والذي يهدف إلى تفرغ مقاطعة الجزيرة أو محافظة الحسكة من السكان الكرد الأصليين واستيطان مجموعات عربية بدلاً عنهم بهدف التغيير الديمغرافي في المنطقة، وإحداث فتنة عرقية بين الكرد والعرب.

والمقاومة، لخلق بيئة الآمنة الخاصة بها، وهو الخيار الذي أسس كل من الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا وقوات سوريا الديمقراطية؛ إلا أن شريحة واسعة من الأفراد والعائلات اضطرت إلى النزوح عن مناطقها بدافع القلق والخوف، حيث انطلقت موجات ضخمة من اللاجئين انقسمت أمام مفترق طرق، طريق باتجاه المناطق الأخرى الآمنة في شمال وشرق سوريا، وطريق آخر باتجاه البلدان المجاورة ومنهم من سلك الطرق الخطرة للوصول إلى البلدان الأوروبية، كل منهم يحمل ذكرياته وأمنيته بحياة أفضل، مديراً ظهره لآلاف النفوس الباقية وراءه التي كابدت الأسى على رحيله.

واستناداً إلى إصرار تنظيم داعش في الاستمرار بالعمل وفقاً لعقيدته السياسية والأمنية المتطرفة، التي تعزز مشاعر القلق والخوف في نفوس المواطنين، لم يعد بالإمكان وصف مغادرة الناس لمناطقهم بسبب هذه العقيدة إلا كسياسة تهجير ممنهجة.

بعد اندحار تنظيم داعش من مدينة الرقة التي كان قد اتخذها عاصمة لسلطته، وبينما كانت التوقعات تتجه باتجاه حلول السلام في المنطقة، سارعت الدولة التركية بعقد صفقات سياسية مع النظام السوري وحلفائه، تسببت بموجات نزوح غير مسبقة على مستوى البلاد، حيث تم تهجير الألوف من عناصر الفصائل المسلحة المعارضة وعائلاتهم من درعا ودمشق وحمص وحلب باتجاه شمال غربي سوريا التي سيطرت عليها القوات التركية، بعد أن قامت بعمليات غزو للمناطق الآمنة في شمال سوريا وأجبرت مئات الآلاف من السكان الأصليين على الرحيل عن مناطقهم وممتلكاتهم، من خلال المبالغة في استخدام القوة العسكرية ضد المناطق التي اجتاحتها، ومن ثم الترحيل القسري لقسم آخر بذريعة مقاومتهم لعمليات الغزو وتكفلت الفصائل الموالية لها بتهجير من تبقى عبر المضايقات الأمنية والاعتقال التعسفي والتعذيب ومصادرة الممتلكات أو إتلافها بتهمة ملفقة؛ واستوطنت مكانهم آلاف المهجرين من المناطق السورية الأخرى، في خيم أو مستوطنات تم بنائها بالمال السياسي تحت ستار الأعمال الخيرية. كما وتعرض الإيزيديون لعمليات اضطهاد دينية وتحويل بعض معابدهم إلى جوامع وبنّ القلق والخوف في نفوسهم بعد تكفير ديانتهم من قبل فقهاء تركيا ومرتزقتها وداعش، الأمر الذي أجبر المئات منهم على الرحيل عن مناطقهم التاريخية في عفرين وسري كانييه/ رأس العين.

لقد تعرض غالبية سكان كلاً من مقاطعة عفرين وكري سي/ تل أبيض وسري كانييه/ رأس العين إلى عمليات تهجير قسرية منذ عام 2018م. بالإضافة إلى اضطراب الآلاف إلى الهجرة أو النزوح بسبب هجمات القوات التركية ومرتزقتها على البنية التحتية، المدنية والعسكرية، في مناطق الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، لتتسبب هذه العمليات بأضخم عملية تغيير ديمغرافي لم تشهدها شمال وشرق سوريا من قبل.

يُلاحظ أن مشاعر القلق والخوف وسياسة الترحيل القسري كانت الأكثر تأثيراً في هجرة مئات الألوف عن مناطقها في شمال وشرق سوريا، وهذا ما يؤكد على الاعتقاد بأنها ليست سوى عمليات تهجير ممنهجة الهدف منها تحقيق أهداف سياسية؛ فالنظام السوري مارس عمليات تطهير ضد معارضيه عبر إبعادهم إلى مناطق لا تشكل تهديداً لسلطته، وتنظيم داعش من أجل تمكين سلطته استطاع من خلال سمعته المرعبة إجبار كل فرد لا يقتنع بأيديولوجيته على الرحيل، والنظام التركي نفذ عمليات تغيير ديمغرافي وإبادة ثقافية بحق الكرد السكان الأصليين في شمال سوريا استناداً إلى ما يقوم به من بناء المستوطنات وسياسة التتريك ومناهضة الثقافة الكردية وهو ما يتم تطبيقه على أرض الواقع في المناطق المحتلة من قبل تركيا.

بسبب التصاعد المتسارع للأزمة السورية واضطرار الآلاف إلى الفرار لم يتم التمكن من تحديد إحصائية دقيقة لأعداد المهجرين بفعل هجمات داعش وتركيا ومرتزقتها، إلا أنه يعد من المناسب تقديم إحصائيات نشرتها مواقع دولية وحقوقية على فترات مختلفة، وذلك بالشكل التالي:

- في عام 2014م بالتزامن مع هجمات تنظيم داعش كان هناك أكثر من 225 ألف سوري ممن لجأوا إلى إقليم كردستان العراق أي ما يمثل 97% من اللاجئين السوريين في العراق وأكثر من 90% منهم كانوا من الكرد⁽²⁷⁾ وفي

²⁷ أنوبها سود ولويسا سيفيريس؛ الأزمة السورية والتهجير والحماية: السوريون يسهمون في النمو الاقتصادي الكردي؛ الناشر: مركز دراسات اللاجئين وجامعة أوكسفورد- نشرة الهجرة القسرية/العدد 47/أيلول 2014؛ ص14؛ الرابط:

صيف عام 2014م اضطر نحو 160 ألف كردي سوري من كوباني⁽²⁸⁾ إلى عبور الحدود التركية بعد مهاجمة تنظيم داعش لمدينتهم، ليبلغ عدد الذين اضطروا للهجرة إلى تركيا منذ عام 2011م حوالي 815000⁽²⁹⁾

- في عام 2018م تم تهجير حوالي ثلثي سكان عفرين تقريباً 300000 شخصاً بحسب إحصائيات غير رسمية.
- في عام 2019م بالتزامن مع هجمات جيش الاحتلال التركي ومرزقته على سري كانييه/ رأس العين وكرى سبي/ تل أبيض اضطّر 180000 شخصاً معظمهم من النساء والأطفال إلى النزوح⁽³⁰⁾ ومع انتهاء العمليات العسكرية بلغ عدد مهجري سري كانييه وكرى سبي 400000⁽³¹⁾.

➤ الوسائل الممكنة للحد من الهجرة القسرية.

تكن مساعي الحد من الهجرة القسرية بشكل أساسي في معالجة أسبابها؛ وهناك الكثير من الحلول إلا أن بعضها يصعب تطبيقها نسبياً بسبب علاقتها مع العوامل الموضوعية التي سببت الهجرة القسرية، فمثلاً إيقاف الهجمات الإقليمية العنيفة تتجاوز قدرة الإدارة الذاتية ومؤسسات المجتمع المدني، كما أن توفير الرعاية الاجتماعية والرعاية الصحية والسكن اللائق والخدمات العامة في متناول كل شخص يصعب تأمينها بسبب السياسة العدوانية لكل من النظامين التركي والسوري تجاه مجتمعات شمال وشرق سوريا، فالأول دمر العشرات من البنى التحتية والاثنيين يستخدمان نفوذهما الإقليمي والدولي لفرض حصار سياسي واقتصادي على المنطقة؛ أما بالنسبة للهجرة القسرية المباشرة أو عمليات التهجير فيصعب إيقافها من قبل الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية بسبب الإمكانيات العسكرية الضخمة للنظام التركي الذي يطبق عمليات التهجير بحذافيرها في المناطق المحتلة، وإصراره مع النظام السوري وجماعات الإسلام السياسي على السياسة العدائية تجاه العقد الاجتماعي لمجتمعات شمال وشرق سوريا بالتوازي مع صمت المجتمع الدولي تجاه هذه السياسة؛ بينما الهجرة القسرية غير المباشرة ورغم الصعوبات فيمكن الحد منها من خلال التقليل من مشاعر القلق والخوف واليأس، وزيادة مشاعر الثقة والالتزام الأخلاقي تجاه المجتمع والوطن؛ في هذا السياق يمكن طرح مجموعة من المقترحات بالاستناد إلى ما تم استنتاجه من آراء عامة الناس المحيطين بفريق الباحثين، ومن هذه المقترحات:

• بالنسبة للهجرة القسرية غير المباشرة:

1. تطبيق مبادئ الإدارة الرشيدة والحد من الإهمال الوظيفي في المؤسسات بالاستناد إلى معايير النزاهة والشفافية والكفاءة.
2. التقليل من البيروقراطية وتحقيق السرعة النسبية في إنجاز القضايا والدعاوي والمعاملات في مؤسسات إنفاذ القانون والمؤسسات الخدمية الأخرى.
3. تقديم المزيد من الدعم لقطاعات الصحة والتعليم والإسكان، وتشجيع نشاطات التكافل الاجتماعي من قبل المجالس الشعبية لتأمين الإعانات الصحية والمعيشية للمعوزين.
4. صيانة البيئة، والاستمرار في الحد من التلوث البصري والسمعي وغيره؛ لما للتلوث من تأثير نافر على الإنسان.

<https://www.onlinelibrary.iihl.org/wp-content/uploads/2021/02/2014-FM-Review-The-Syrian-crisis-displacement-and-protection.pdf>

²⁸ عمر كاراسابان؛ اللاجئين السوريون في تركيا وتفادي تحولهم إلى لاجئين دائمين؛ الناشر: موقع البنك الدولي؛ تاريخ النشر: 2015.02.02م؛ الرابط:

<https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/avoiding-permanent-refugee-trap-turkey>

²⁹ المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين؛ عدد اللاجئين السوريين يصل إلى ثلاثة ملايين وسط انعدام الأمن وتدهور الأوضاع في البلاد؛ تاريخ النشر: 2014.08.29م؛ الرابط:

<https://www.unhcr.org/ar/54000534a>

³⁰ الأمم المتحدة؛ مفوضية اللاجئين: أكثر من 10000 سوري عبّروا الحدود العراقية منذ بدء الحملة التركية في شمال شرق سوريا؛ تاريخ النشر: 25 تشرين الأول/أكتوبر 2019م؛ الرابط:

<https://news.un.org/ar/story/2019/10/1042501>

³¹ مركز توثيق الانتهاكات؛ عدّ جريمة حرب.. ما "التهجير القسري" الذي فرضته تركيا على سكان 3 مدن سورية وتسعى لفرضه على المزيد من المدن الحدودية؟؛ تاريخ النشر: 2023.12.30م؛ الرابط:

<https://vdc-nsy.com/archives/65878>

5. التقليل من تداعيات الغلاء المعيشي والجفاف على المواطنين من خلال تأمين المزيد من فرص العمل، وتطوير آليات الرقابة المجتمعية والإعلامية على الأنشطة التجارية، ودعم الأفكار والمشاريع الاقتصادية القابلة للتطبيق.
6. غالباً ما يقرر الناس الهجرة عندما لا يستطيعون تلبية احتياجاتهم الأساسية في مجتمعاتهم المحلية بحسب منظمة الغذاء العالمي⁽³²⁾، وللتقليل من دوافع الهجرة المتحيزة بفعل التدهور البيئي والافتقار إلى العمالة الريفية اللائقة وتأثيرات تغير المناخ، بما في ذلك الكوارث، وغزو الآفات، من المفترض دعم الوسائل اللازمة لأعمال المزارعين والتخفيف من آثار تغير المناخ ودعم الوصول إلى الخدمات الريفية. كما يجب تنفيذ مشروع استئجار مياه نهر دجلة وإتباع سياسة مائية أكثر كفاءة للاستجابة الفعالة لكارثة الجفاف.
7. تكثيف التواصل بين القائمين على مؤسسات الإدارة الذاتية والمجتمع، وإحاطة الرأي العام بشكل مستمر بالمستجدات الاقتصادية والسياسية والأمنية التي تشهدها المنطقة، للحد من تأثير البروباغندا السلبية.
8. تأمين الرعاية اللازمة للمهجرين من المناطق المحتلة، والتقليل من مشاعر الإحباط لديهم، والحفاظ على موروثةهم الثقافي
9. معالجة الخلافات السياسية المحلية وتحييد الرأي العام عن المخاصمات الحزبية، وفسح المجال أكثر للمعارضة السياسية البناءة.
10. بذل المزيد من الاهتمام بالفئة الشابة من خلال دعم مؤهلاتهم ومساعدتهم في تأمين المسكن والرعاية الصحية وتوفير فرص العمل والخدمات الترفيهية، وتحفيزهم على المشاركة في الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في المنطقة.
11. إنشاء هيئة خاصة بشؤون المهاجرين والمهجرين.

• بالنسبة للتهجير:

1. تنمية العلاقات الدبلوماسية مع مجتمعات البلدان الأخرى على غرار التجربة مع كاتالونيا، وتعزيز التواصل الثقافي لمجتمعات شمال وشرق سوريا مع تلك المجتمعات، لما لذلك من دور مهم في دعم الجهود الدبلوماسية للضغط على الحكومات الداعمة للدول التي تستهدف مجتمعات شمال وشرق سوريا أو يمكنها ممارسة تأثير على تلك الدول للضغط عليها لإيقاف عمليات التهجير، وكذلك يتوجب تحقيق التواصل مع مجتمعات المناطق التي تسيطر عليها القوى السورية الأخرى المناهضة للإدارة الذاتية من نظام ومعارضة، من خلال فتح باب التداوي والتعليم والزيارات الاجتماعية والنشاطات الاقتصادية في شمال وشرق سوريا.
2. دراسة الأسباب الكامنة وراء عدم قيام المنظمات والمؤسسات الدولية، الحقوقية والقانونية، بمسؤولياتها والتزاماتها المؤطرة بالمواثيق الحقوقية، وذلك من أجل تطوير آلية مسائلة ودفاع قانونية لردع عمليات التهجير، ومن الضروري جداً تأسيس مركزاً مختصاً بالدراسات والتوثيق الحقوقية، من أجل رفد النشاطات الدبلوماسية للإدارة الذاتية ومجلس سوريا الديمقراطية بالاستشارات القانونية والحقوقية.
3. إعادة النظر في العلاقات السياسية والعسكرية القائمة مع جميع الأطراف المحلية والإقليمية والدولية، وإعطائها زخماً جديداً يتناسب مع تحديات المرحلة.

○ الخاتمة.

نستنتج مما سبق بأن ظاهرة الهجرة في شمال وشرق سوريا تعد إشكالية ذات أبعاد سياسية واجتماعية، تثير تساؤلات أخلاقية ووجدانية. أحياناً يكون الفرد مجبراً على الهجرة للحفاظ على هويته وثقافته وحياته ومعيشته، إلا أنه يبقى ملتزماً ومتمسكاً بثقافته وقادراً على خدمة وطنه بشكل من الأشكال، أما بالنسبة لذوي النزعة البراغمية الفردية عادة لا يمتلكون التزاماً وجدانياً تجاه مجتمعاتهم فهم ينتهزون أية فرصة لصالحهم، ويمكنهم ببساطة أحياناً التخلي عن هويتهم وثقافتهم لصالح ثقافة أخرى لقاء منفعة ما قد لا تكون ناجمة عن حاجة طارئة؛ على الرغم من ذلك تتسبب هجرتهم بمشكلات كبيرة لأوطانهم خاصة من ذوي الخبرات والكفاءات العلمية والحرفية، وأصحاب

³² منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة/ بوابة دعم السياسات والحوكمة؛ الهجرة؛ الرابط:

<https://www.fao.org/policy-support/policy-themes/migration/ar>

رؤوس أموال يمكن استثمارها. لذا فإن الموقف من الهجرة دائماً ما يؤخذ استناداً إلى مصلحة المجتمع ومدى متانة الرابطة المعنوية بين الفرد ومجتمعه، وبين الذهنية والمكان، التي شكلتها الثقافة المجتمعية منذ نشوء هذا المجتمع، حيث نجد المئات ممن قاوموا المشاعر المتحيزة بفعل الخوف والقلق والمعتقدات السياسية وامتنعوا عن الهجرة، وآثروا البقاء داخل أوطانهم، وبفضلهم تم استتباب الأمن نسبياً في المنطقة وإدارة الشأن العام بحسب الإمكانيات المتاحة، وأصبحت الحياة ممكنة في شمال وشرق سوريا، ولا يزال آلاف المهجرين والنازحين في شمال وشرق سوريا متمسكين بأمل العودة إلى ديارهم، بعضهم اصطحبوا مفاتيح منازلهم وأكثرتهم ذكرياتهم التي لن تنسى.

في أغلب الأحيان تتسبب الهجرة بمشاكل كبيرة في المجتمعات التي يهاجر منها أعداد كبيرة من أفرادها، وخاصة أصحاب الكفاءات العلمية والحرفية، وتتعدّد المشكلة بشكل كبير مع هجرة الأشخاص القادرين على الدفاع عن مجتمعاتهم في حال تعرض هذه المجتمعات لخطر وشيك؛ وتأتي في مقدمة هذه الأخطار عمليات التطهير العرقي بمختلف أشكالها من إبادة جماعية أو إبادة ثقافية. ومهما يكن، تشكل الهجرة والتهجير تهديداً على كل من الأمن الإنساني والوجودي في شمال وشرق سوريا بأبعاده الثقافية والديمقراطية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ وهناك حاجة لإيقافها كونها تهدد الثقافات الأصيلة في المنطقة من كردية وسريانية وعربية وأرمنية وآشورية؛ ويُعرض المجتمعات المحلية لخطر الإبادة الجماعية والثقافية. قد يتم التسامح مع حالات معينة من الهجرة التي تعد نتيجة لظروف قاهرة أو تلك التي تكون مؤقتة، إلا أن التذرّع بأسباب يمكن الصبر عليها أو التكيف معها أو يمكن معالجتها، لا تشكل مبررات للهجرة من الناحية الأخلاقية والوجدانية والثقافية.

○ المصادر والمراجع.

1. د. أيمن زهري؛ الهجرة الدولية/ الحالة المصرية؛ الناشر: المجلس القومي للسكان/ وزارة الصحة والسكان المصرية- 2020؛ بلا رقم طبعة.
2. جوزيف س. ناي؛ القوة الناعمة، وسيلة النجاح في السياسة الدولية؛ ترجمة: د. محمد توفيق البجيرمي، الطبعة الأولى- 2007م؛ الناشر: العبيكان للنشر- الرياض/ المملكة العربية السعودية.
3. شبكة الصليب الأحمر والهلال الأحمر لنقاط الاتصال حول الهجرة في إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؛ التقرير الإقليمي الأول حول الهجرة في إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؛ الناشر: شبكة نقاط الاتصال حول الهجرة - إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا/ 2021م.
4. د. صموئيل حبيب؛ الخوف؛ الناشر: دار الثقافة- القاهرة؛ الطبعة الأولى/ 1989؛ ص 9.
5. عبد الله حسين؛ تاريخ ما قبل التاريخ؛ الناشر: مؤسسة هنداي- المملكة المتحدة/ 2012م؛ بلا رقم طبعة؛ ص 90.
6. ليلي سوار وروجين شاويش؛ الهجرة/ أسبابها وتداعياتها - الهجرة الكردية (بالإضافة إلى استطلاع للرأي)؛ الناشر: مجلة دراسات كردية العدد 8 تاريخ خريف 2016.
7. مايك كرانغ؛ الجغرافيا الثقافية/ أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الإنسانية؛ ترجمة: د. سعيد منتاق؛ الناشر: عالم المعرفة- الكويت / 2005، بلا رقم طبعة.
8. د. موسى سمحة؛ الهجرة القسرية: التعريف، التصنيف، الأنماط، الدوافع، التيارات والآثار؛ الناشر: الجامعة الأردنية/ 1989م؛ بلا رقم طبعة. المواقع الإلكترونية بحسب تسلسلها في البحث:
1. Human Rights Watch؛ سوريا: الفيتو الروسي سيغلق شريان الإغاثة الأخير؛ تاريخ النشر: 10 حزيران 2021م؛ الرابط: <https://www.hrw.org/ar/news/2021/06/10/378875>
2. معجم المعاني (الإلكتروني)؛ تعريف ومعنى هجرة في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي؛ الرابط: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/هجرة/>
3. موقع الأمم المتحدة؛ الهجرة/ قضايا عالمية؛ الرابط: <https://www.un.org/ar/global-issues/migration>
4. منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة؛ الهجرة؛ الرابط: <https://www.fao.org/migration/ar>
5. منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة/ بوابة دعم السياسات والحوكمة؛ الهجرة؛ الرابط: <https://www.fao.org/policy-support/policy-themes/migration/ar/>
6. الإتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر CIFRC؛ الهجرة والنزوح؛ الرابط: <https://www.ifrc.org/ar/عملنا/الكوارث،-المناخ،-الآزمات/الهجرة-والنزوح>

7. المفوضية السامية لحقوق الإنسان والهجرة؛ لمحة عن الهجرة وحقوق الإنسان؛ الناشر: مكتب المفوض السامي/ الأمم المتحدة؛ الرابط:
<https://www.ohchr.org/ar/migration/about-migration-and-human-rights>
8. إبراهيم دراجي؛ اللجوء والنزوح والهجرة؛ الناشر: الموسوعة العربية؛ بلا رقم طبعة وتاريخ نشر؛ الرابط:
<https://arab-ency.com.sy/law/details/25685/6>
9. موقع الأمم المتحدة؛ اللاجئين والمهاجرون- تعاريف؛ الرابط:
<https://refugeesmigrants.un.org/ar/definitions>
10. صندوق الأمم المتحدة للسكان(الدول العربية)/ JNFP؛ الهجرة؛ الرابط:
<https://arabstates.unfpa.org/ar/topics/الهجرة/>
11. Human Rights Watch؛ سوريا أحداث عام 2020م؛ الرابط:
<https://www.hrw.org/ar/world-report/2021/country-chapters/syria>
12. رينا نتجيس؛ حدود الاتحاد الأوروبي تبدأ من الطريق "4م" في سوريا؛ الناشر: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى؛ تاريخ النشر: 26 مايو 2023م؛ الرابط:
<https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/hdwd-alathad-alawrrwby-tbda-mn-altryq-am-4-fy-swrya>
13. برنامج الأغذية العالمي؛ سوريا؛ الرابط:
https://ar.wfp.org/countries/syria-ar?_ga=2.31880062.1370061897.1671339182-1085815231.1671339182
14. منظمة العفو الدولية؛ سوريا: يجب على تركيا وضع حد للانتهاكات التي ترتكبها الجماعات الموالية لها والقوات المسلحة التركية ذاتها في عفرين؛ تاريخ النشر: 2018.08.02م؛ الرابط:
<https://www.amnesty.org/ar/latest/news/2018/08/syria-turkey-must-stop-serious-violations-by-allied-groups-and-its-own-forces-in-afirin/>
15. أنوبها سود ولويسا سيفيريس؛ الأزمة السورية والتهجير والحماية: السوريون يسهمون في النمو الاقتصادي الكردي؛ الناشر: مركز دراسات اللاجئين وجامعة أوكسفورد- نشرة الهجرة القسرية/العدد 47/أيلول 2014؛ ص14؛ الرابط:
<https://www.onlinelibrary.iihl.org/wp-content/uploads/2021/02/2014-FM-Review-The-Syrian-crisis-displacement-and-protection.pdf>
16. عمر كاراسابان؛ اللاجئين السوريون في تركيا وتفايدي تحولهم إلى لاجئين دائمين؛ الناشر: موقع البنك الدولي؛ تاريخ النشر: 2015.02.02م؛ الرابط:
<https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/avoiding-permanent-refugee-trap-turkey>
17. المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين؛ عدد اللاجئين السوريين يصل إلى ثلاثة ملايين وسط انعدام الأمن وتدهور الأوضاع في البلاد؛ تاريخ النشر: 2014.08.29م؛ الرابط:
<https://www.unhcr.org/ar/54000534a>
18. الأمم المتحدة؛ مفوضية اللاجئين: أكثر من 10000 سوري عبروا الحدود العراقية منذ بدء الحملة التركية في شمال شرق سوريا؛ تاريخ النشر: 25 تشرين الأول/أكتوبر 2019م؛ الرابط:
<https://news.un.org/ar/story/2019/10/1042501>
19. مركز توثيق الانتهاكات؛ عدّ جريمة حرب.. ما "التهجير القسري" الذي فرضته تركيا على سكان 3 مدن سورية وتسعى لفرضه على المزيد من المدن الحدودية؟! تاريخ النشر: 2023.12.30م؛ الرابط:
<https://vdc-nsy.com/archives/65878>
20. القاموس العملي للقانون الإنساني؛ ترحيل؛ الرابط:
<https://ar.guide-humanitarian-law.org/content/article/5/trhyl>
21. ويكيبيديا- الموسوعة الحرة.